بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

كليّة الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

دروس و أعمال موجهة في مادة الصوتيات **إعداد و تقديم الأستاذ:** عبد الرحيم عزاب

الأفواج المعنية: الأول و الثاني و الثالث **المستوى:**سنة ثالثة، تخصص لسانيات عامة.

الدرس الخامس (5): الدراسة الصوتية لدى اللغويين في المعاجم.

أولا: الخليل بن أحمد الفراهيدي.

ثانيا: أبو منصور الأزهري.

خطة الدرس و بناؤه المعرفي:

1-بسط مفهوم المعجم.

2-طريقة البحث في المعاجم.

3-معجم العين بوصفه أول دراسة صوتية لدى قدماء العربية.

4-طريقة ترتيب مادة المعجم.

عرض و تحليل.

1-بسط مفهوم المعجم: ترجع كلمة (معجم) إلى قولنا: أعجم الكتاب و عجمه: نقطه، و أعجمت الكتاب: أزلت استعجامه، و الأعجم: هو الذي لا يفصح و لا يبين كلامه و إن كان عربي النسب.

و حروف المعجم هي الحروف الهجائية، و من هنا سمي الكتاب الذي يجمع مفردات اللغة بترتيب معين، مبينا معناها و استخداماتها المختلفة معجما إما لأنه مرتب على حروف المعجم، و إما لأنه قد أزيل أي إبهام أو غموض منه. فهو معجم بمعنى مزال ما فيه من غموض و إبهام. و لفظ معجم اسم مفعول من الفعل أعجم، و يحتمل من ناحية أخرى أن يكون مصدرا ميميا من نفس الفعل، و يكون معناه الإعجام أو إزالة العجمة و الغموض[1].

" و يطلق مصطلح " معجم " على الكتاب الذي يتناول بترتيب معين مفردات اللغة: معانيها و أصولها و اشتقاقاتها، و طريقة نطقها، كما يطلق على المرجع المتخصص الذي يحوي المصطلحات و التعبيرات و التراكيب التي تدور في فن بعينه أو تخصص بذاته، أو مجال محدد "[2].

من هنا نستنتج أن المعجم وعاء اللغة، و قد اهتم العرب بجمع لغتهم، و تصنيفها، ووضعها في معجمات كثيرة، منوعة في ترتيبها و منهجها، و يدور المعجم حول الكلمة إيضاحا و شرحا ليجلو منها ما نسميه المعنى المعجمي. و أعجم في اللغة بمعنى أزال الإبهام.

كما يقصد بالمعجم تلك الكتب اللغوية التي حفظت لنا كلام العرب. و لاشك أن أول معجم منهجي وصل إلينا هو " العين " للخليلي بن احمد الفراهيدي (ت 175 هـ). و توالت بعده التأليف المعجمية و بمناهج متعددة.

2-طريقة البحث في المعاجم:

قد يتوقف الدارس أو الكاتب أمام كلمة يشك في معناها أو اشتقاقها أو دلالتها، و هنا لابد من أن يرجع إلى معجم من المعاجم، حتى تكون كتابته و مختلف نصوصه صحيحة و سليمة، و عند إرادة الكشف عن معنى أو مدلول كلمة في معجم لابد من اتباع الخطوات الآتية:

2-1-العودة إلى المفرد إذا كانت الكلمة مثنى أو جمعا.

2-2-الإتيان بالماضي إذا كانت فعلا مضارعًا، أو أمرًا أو مصدرًا أو مشتقًا.

1
2

2-3-تجريد الكلمة (اللفظة أو الدال) من حروف الزيادة إذا كانت مزيدة.

2-4-رد ما حذف منها إذا كان قد حذف منها شيء.

2-5-رد حرف العلة في الأجوف (معتل العين)، أو الناقص (معتل اللام) إلى أصله (الواو أو الياء).

2-6-فك تضعيف الفعل إذا كان مضاعفا.

3-معجم " العين " بوصفه أول دراسة صوتية:

في مجال دراسات علم الأصوات العام، أي ما يتصل بإنتاج الصوت و أعضاء النطق به، و تصنيف الأصوات "كان أول من تناول أصوات اللغة العربية بالدراسة و الوصف، و تحديد المخارج و الصفات، اللغوي العبقري الخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي عرف عنه أيضا الاهتمام بأصول النغم و الموسيقى و الإيقاع، و أنه أول مبتكر لعلم العروض، و أنه استنبط من العروض و من علل النحو ما لم يستخرجه أحد، و لم يسبق إلى مثله سابق " [3].

و على أساس مخارج الحروف و ترتيبها من الحلق إلى الفم، رتب الخليل المعجم الذي ينسب إليه، و هو معجم " العين " الذي استهله بكتاب " العين ".

و يمكن على سبيل المقاربة المفهومية و اللسانية اختزال هذه الآراء و الملاحظات الصوتية في الآتي:

1-من أحسن و أطرف ما عرض له العرب في دراسة الأصوات ما نجده لدى الخليل بن أحمد من وصف الجهاز الصوتي، و هو الحلق و الفم و الشفتين، و تقسيمه إياه إلى مناطق و مدارج يختص كل حرف منها بحرف أو مجموعة حروف، و ما أشار إليه الخليل أيضا من " ذوق الحروف " لبيان حقيقة المخرج، فقد اهتدى بذكائه المتفوق في ذلك إلى مقاييس صحيحة، أقر كثيرا منها علماء الأصوات المحدثون، و كذلك قوله في الحركات، إنها أبعاض حروف المد، و اختراعه علامات الضبط التي لا نزال نستعملها حتى اليوم من فتحة و ضمة و كسرة.

3

2-لقد سار الخليل في معجمه هذا " العين " على الترتيب الصوتي، و الحق أن هذا المبدأ كان المنطلق الحقيقي للدراسات الصوتية في اللغة العربية، فلقد نجح علماء العربية بعد الخليل نجاحا يستحق الثناء و الإكبار. و ما أن وضع الخليل بن أحمد فكرة الترتيب الصوتي حتى أخذه عنه تلميذه سيبويه (ت 180 هـ)، و أدخل على هذا الترتيب تطويرا و تبديلا، و من هنا خالف سيبويه أستاذه في كثير من جزئيات هذا الترتيب و أدخل عليه تطويرا و تعديلا.

شرح و تعليل هذا الترتيب:

إن ترتيب الحروف قديما كان يسير على الأبجدية الفينيقية، بالإضافة لحروف الروادف: أبجد، هوز، حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ.

ثم دعت الحاجة إلى الإعجام، لأن الحروف لم تكن معجمة (أي منطوقة نقطا يميز بعضها عن بعض. كنقطة الجيم التي تميزها من الحاء المهملة، و نقطة الذال التي تميزها من الدال المهملة).

فطلب الحجاج من نصر بن عاصم الليثي أن يقوم بهذه المهمة مع زميله يحي بن يعمر العدواني، تلميذي أبي الأسود الذؤلي، فرتبا الحروف الهجائية الترتيب العادي: أ ب ت ث ج ح، حيث جمعت الحروف المتشابهة. و لقد تأخر انتشار ترتيب نصر بن عاصم الليثي و زميله، و لم يكتب له الذيوع و الانتشار إلا في أواخر القرن الثاني الهجري، و ظل الأمر على هذا الترتيب إلى أن جاء الخليل بن أحمد و رتب الحروف بحسب مخارجها، حين شرع في عمل معجم " العين "، و بدأ بحروف الحلق، ثم الحنك، ثم الأسنان، ثم الشفتين، و لم يجعل الهمزة أولا، و إنما جعلها في آخر حروف الهجاء، حيث جاء الترتيب الصوتي على النحو الآتي:

ع ح هـ خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ث ذ / ر ل ن / ف ب م / و ا ي ، ثم الهمزة.

ينظر: كتاب العين ج 1 ص 48، تحقي مهدي المخزومي و إبراهيم السمرائي. دار الرشيد 1980.

و لقد خالف سيبويه الخليل فكان ترتيبه على النحو الآتي:

الهمزة (أ) و الألف و الهاء و العين و الحاء و الغين و الخاء و الكاف و القاف و الضاد و الجيم و الشين و الباء و اللام و الراء و النون و الطاء و الدال و التاء و الصاد و الزاي و السين و الظاء و الذال و التاء و الفاء و الياء و الميم و الواو.

ينظر: الكتاب سيبويه ج 4 ص 431، تحقيق عبد السلام هارون.

و عدد حروف الهجاء عند الخليل و سيبويه 29 حرفاً.

3-و من أهم ما خالف فيه (سيبويه) كما رأينا هو موقفه من الهمزة، حيث جعلها أول الأصوات العربية و أبعدها مخرجا.

و سيبويه بصنيعه هذا، يوافق البحث الصوتي الحديث الذي أثبت أن الهمزة (A) هي أول الأصوات العربية مخرجا. فهي من فتحة المزمار، و الوتران الصوتيان عند النطق بالهمزة لا يوصفان بالاهتزاز و لا بعدمه.[4]

4-و من مدرسة المخارج الصوتية و نظام التقاليب، مثلها كل من:

4-1-العين للخليل بن أحمد الفراهيدي.

4-2-البارع، لأبي علي القالي.

4-3-تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري.

4-4-المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد.

4-5-المحكم و المحيط الأعظم، لابن سيده الأندلسي.

و بهذه المدرسة، وضع الباحثون معجم " العين على رأس مدرسة المخارج الصوتية و التقليبات، و قد سماه باسم الحرف الذي بدأه به، إذ لم يرتبه على حروف الهجاء، بل قدم الحروف الحلقية، و لم يبدأ بالهمزة، لأنها يلحقها التغيير و الحذف، و لا بالألف لأنها لا تكون في بداية كلمة إلا زائدة أو مبدلة، و لا بالهاء لأنها مهموسة خفية، ثم نزل إلى العين و الحاء فوجد أن أولهما أنصعهما فبدأ به معجمه.

5-لقد سجل الخليل –في البداية- كل المواد اللغوية التي فيها حرف العين، ثم باب الحاء و رصد فيه المواد التي فيها حرف الحاء مما تخلو من العين. و بهذا كان ترتيب الخليل في معجمه يسير كما يلي:

5-1-خمسة أحرف حلقية: ع/ح/ه/خ/غ.

5-2-حرفان لهويان: ق/ك.

4

5-3-ثلاثة أحرف شجرية: (شجرية الفم: جوف الفم بين سقف الحنك و اللسان) ج/ش/ض.

5-4-ثلاثة أحرف أسلية: (أسلية) (أسلة اللسان: مستدق طرفه) ض/س/ز.

5-5-ثلاثة أحرف نطعية: (النطع: ظهر الغار الأعلى، و هو موضع اللسان من الحنك) ط/د/ت.

5-6-ثلاثة أحرف لثوية: (اللثة: ما حول الأسنان من اللحم) ظ/ذ/ث.

5-7-ثلاثة أحرف ذلقية: (ذلق اللسان: طرفه) ر/ل/ن.

5-8-ثلاثة أحرف شفوية: ف/ب/م.

5-9-أربعة أحرف هوائية: و/ا/ي/همزة (أ).[5]

" هكذا نجد الخليل بن أحمد، قد وضع هيكل هذا المعجم، و رسم منهجه و نظامه، و أن ما جاء فيه مما أنكره هؤلاء العلماء، إنما أقحم في ثناياه بعد الخليل. لقد رأى الخليل، أن الترتيب المألوف لحروف الهجاء العربية، و هي: أ ب ت ث ج ح خ ...إلخ إنما استمده النساخ و الكتبة من الترتيب السامي القديم الذي اشتهر عند الأمم السامية القديمة، كالفينيقيين و العبريين، و هو ترتيب، أبجد هوز حطي كلمن...إلخ[6] و أن النساخ قد وضعوا الرموز المتشابهة الصورة، بعضها بجوار بعض، و من هنا جاء الترتيب الهجائي المألوف لنا.

كما وجد الخليل أن هذا الترتيب الهجائي المألوف، ليس قائما على أساس علمي، فآثر أن يختار ترتيبا آخر، أساسه مخارج الأصوات (الحروف) و رتب معجمه " العين " على ذلك، فبدأ بأصوات الحلق، و جعلها أقساما، ثم أصوات أقصى الفم، ثم أصوات أوسط الفم، ثم أدنى الفم، ثم الشفتين. فجاء ترتيبه للأصوات اللغوية في العربية على النحو الذي ذكرناه سابقا، و لا مانع من إعادة رسمه و توصيفه: [ع ح هـ خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / و ا ي].[7]

5
6
7

و لقد كان الخليل أسبق من ذاق الحروف، ليعترف مخارجها، يقول عنه تلميذه الليث بن المظفر: " إنما كان ذواقة إياها، أنه كان يفتح فاه (فمه) بالألف، ثم يظهر الحرف، نحو: أب، أث، أح، أع، أغ... فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أول الكتاب "[8].

و أخيرا، مع تسليم الخليل بهذا الترتيب الصوتي، فإنه يصر و ينص صراحة على أنه لم يبدأ بالهمزة لأنها، يلحقها النقص و التغيير و الحذف، و لا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة، و لا في اسم و لا فعل إلا زائدة أو مبدلة، و لا بالهاء، لأنها مهموسة خفية لا صوت لها.

قال الخليل: " فنزلت إلى الحيز الثاني، و في العين و الحاء، فوجدت العين أنصع الحرفين، فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف "[9].

4-طريقة البحث في معجم " العين " للخليل بن أحمد الفراهيدي:

لقد سبق بالذكر أن الباحثين العرب، وضعوا معجم " العين " على رأس مدرسة المخارج الصوتية و التقليبات، و قد سماه الخليل باسم الحرف الذي بدأه به.

و قد ظن الخليل أنه استوعب كلام العرب فقال: " بدأنا في مؤلفنا هذا بالعين و هو أمضى الحروف و نمضي إليه ما بعده حتى نستوعب كلام العرب الواضح و الغريب "[10].

إلا أنه أي الخليل بن أحمد، لم يسلم من قدح (نقد) من تلاه، و قد رموه بالتصحيف و الاستشهاد بالمرذول من أشعار المحدثين، و إهمال أبنية مستعملة في اللسان، و أخطاء صرفية و اشتقاقية، و انفراده بكثير من الألفاظ غير المسموعة، و عدم استيفاء صيغ بعض المواد و لا معانيها المتعددة، و أما من مدحه (جامله) فقد أشاد به للريادة في التأليف المعجمي، و باختراع الطريق الأمثل لحصر كلام العرب و بيان المهمل و المستعمل منه. فمعجم " العين " يصنف ضمن المعجمات الأبجدية، و أول من ألف فيها هو الخليل بن أحمد، و قد اتبع فيه، الألفاظ بحسب مخارج الحروف و التقليبات الصوتية، مبتدئا بإدخال الحروف في المخرج، و بدأ بحروف الحلق مرتبة على مسار الجهاز النطقي إلى

8

9

10

أن وصل إلى الشفتين، و قد سمى معجمه هذا كما مر بنا، " العين " لأنه بدأ بهذا الحرف، و اتبع طريقة ترتيب الحروف على المخارج على النحو الآتي: ع ح ه خ غ / ق ك / ج ش ص / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / ا و ي.

و إذا كان كتاب " العين " يمثل (ما قبل تاريخ المعجم العربي) فإن التاريخ الحقيقي لصناعة المعجم Lexicologie ينطلق من معجم ابن دريد (ت 321 ه) الموسوم بـ: " الجمهرة " و قد اعتمد فيه على ما جاء في معجم " العين " و ما وصله من المجاميع اللغوية للأصمعي و أبي عبيدة عمر بن المثنى و غيرهما، بالإضافة إلى ما حفظه هو من الأشعار و الأراجيز، و ما سمعه مشافهة من الأعراب.
و بما أن حرف " العين: ع " من الحروف الحلقية بها صدر المخرج الصوتي، كان لابد من تسمية المعجم بهذه التسمية الموضوعاتية Thématique، و مثلما رتب الخليل المادة اللغوية على حسب مخارج الحروف فقد احتل هذا الحرف (ع) الصدارة في حروف الحلق.

و نلاحظ هنا أن الخليل قد قدم (العين: ع) على الحاء و الهاء و ما لاحظه من تغير الهمزة و الألف، فلم يبدأ بأي منها، و إنما بدأ بحرف العين، لأنه الصوت الحلقي الأول الذي لا يتغير في الأبنية الصرفية، و قد سمى معجمه باسم أول قسم فيه من كتاب " العين " ثم تلاه ببقية أصوات الحلق، متدرجا من أعلى إلى أسفل، فذكر باقي الحروف حتى الحروف اللغوية، و ختم ترتيبه بأصوات العلة و الهمزة Les voyelles و هذا هو الأساس الأول للترتيب الخارجي.

أما الأساس الثاني، و هو – طبعا – خاص بالترتيب الداخلي، ينقسم:

الأول: يتم فيه ترتيب الكلمات على أساس الحروف الأصول فقط، دون الحروف الزوائد، و قد ظل هذا المبدأ الذي وضعه الخليل في كتاب " العين " الأساس الذي بنيت عليه معظم المعاجم العربية.

الثاني: ترتيب الكلمات الداخلة تحت مادة واحدة على أساس الأبنية الصرفية، فبدأ بالثنائي ثم الثلاثي (الصحيح و المعتل و اللفيف) ثم الرباعي و الخماسي، و التزم هذا المبدأ كذلك، عدد من المعاجم العربية التي سارت على معجم الخليل بن أحمد، مثل: " تهذيب اللغة " لأبي منصور الأزهري

(ت 376 هـ) و " المحيط " للصاحب بن عماد (ت 386 هـ)، و " البارع " لأبي علي القالي (ت 356 هـ).

أما الأساس الثالث، فهو طريقة التقليبات، إذا تتبع هذه الطريقة في الفعل الثنائي، مثل: ع د/ دع ، أما الثلاثي ففيه ستة تقليبات، مثل: ك ت ب / ك ب ت / ت ك ب / ت ب ك / ب ك ت / ب ت ك .

أما الرباعي، فقد عدد الخليل التقليبات فيه أربعة و عشرين (24) وجها، و في الخماسي تبلغ التقليبات إلى مائة و خمسة و عشرين (125) و جها و هكذا.

و بديهي أن هذه التقليبات، لا يوجد لها في اللغة العربية أمثلة، إذ إنها ليست كلها مستعملة عند العرب. و لذلك أطلق الخليل على الصيغ التي وجدها فعلا مصطلحا عليه بـ " المستعمل " و على الصيغ غير المستعملة (غير الموجودة) و لكنها ممكنة نظريا. و أما المهمل فيلاحظ الخليل أنه يصدر حديث عن كل مادة ببيان ما استعمل من تصاريفها، و ما أهمل مثل باب العين و الهاء و الجيم معهما، مثل:

عهج/هجع، مستعملان: جهع/عجه، هعج/جهع، مهملات، و قد حرص على ذلك دائما، منبها على المستعمل و المهمل، ثم يبدأ في شرح التصريفات المستعملة، الأول فالثاني فالثالث...إلخ.

-يضم كل حرف جميع الكلمات التي ورد فيها الحرف في أي موضع فيها، فإذا انتقل إلى حرف آخر استبعد الكلمات التي فيها الحرف المتقدم، و معنى ذلك أنه بدأ كتابه بحرف (العين- ع)، فذكر جميع الكلمات التي تتضمن حرف (العين) في أي موضع منها، و حين انتقل إلى حرف (الحاء-ح) ذكر جميع الكلمات التي تتضمن هذه الحروف، لكنه استبعد الكلمات التي فيها (عين- ع)، لأنه قد تقدم ذكرها في حرف (العين- ع) المتقدم و هكذا.

و هذه هي طريقة البحث في معجم العين للخليل، باعتبارها تنهض على ترتيب المادة اللغوية ترتيبا صوتيا Phonétique.

ثانيا: أبو منصور الأزهري (ت 376هـ) في معجمه الموسوم: (تهذيب اللغة).

1- "لقد كان الأزهري يهدف من وراء معجمه إلى تهذيب اللغة، مما أصابها من التصحيف والخطأ، وتدوين ما ثبت وصحّ، إمّا سماعا، أو رواية عن ثقة، أو نقلا عن خط عالم يثق بعلمه".[11] لقد أكدنا في مثاني هذا النظريات اللغويّة في الصوتيات " أنّ تهذيب اللغة للأزهريّ يعد من أقطاب مدرسة المخارج الصوتية والتقاليب، ومن أبرزها:

1.1- العين للخليل ابن أحمد الفراهيدي.

2.1- البارع: لأبي علي القالي.

3.1- تهذيب اللغة: لأبي منصور الأزهري الذي نحن بصدد الحديث عنه..."[12]

4.1- المحيط في اللغة: للصاحب ابن عبّاد.

5.1- المحكم والمحيط الأعظم: لابن سيده الأندلسي.

وإلى جانب ما ذكرناه، عن بعض النظريات الفونولوجيّة عند كل من الخليل ابن أحمد وسيباويه، نجد لغويّا آخر فذا يحلق في آفاق أرحب في مجال علم المعاجم بعامة والأصوات اللغوية بخاصة. هو أبو منصور محمد بن أحمد بن أزهر، الهروى، اللغوي المعروف بالأزهري نسبة إلى جده، ولد في هاراة، وتلقى العلم على يد العلَميْن نفطويه وابن السرّاج وغيرهما. وكان الأزهري، قد برع في الفقه، والحديث واللغة، والنحو والتفسير، وله – إضافة إلى كتاب تهذيب اللغة- (غريب الألفاظ في الفقه) و(التقريب في التفسير) و(علل القراءات) و(تفسير السَّبعِ الطوال) و(معاني شواهد غريب الحديث).

2- منهج الأزهري في تهذيب اللغة:

لقد سار الأزهري على منهج الخليل ابن أحمد في (العيْن)، "مع بعض الاختلافات القليلة المتعلقة بعدد الأبنية وبالنقل عن علماء اللغة، وكثرة الروايات"[13]. ويتسم (تهذيب اللغة) بما يلي:

1.2- النقل عن علماء اللغة، وإيراد ما سمعه من البدوي والذين عايشهم.

11

12

13

2.2- كثرة الشواهد القرآنية والحديثيّة، والعناية بالقراءات القرآنية.

3.2- إيراد كثير من الأقوال، والأمثال، والحكم والنوادر.

4.2- التكرار الذي يرجع إلى كثرة الروايات والأقوال والشواهد.

5.2- الطعن في كثير من اللغويين، والتقليل من شأنهم، وتسفيه أحلامهم[14].

6.2- صعوبة الإفادة من المعجم، وهو سمة من سمات معاجم التقليبات.

إنّ اهتمام العرب بكتابهم المقدّس القرآن الكريم، قد دفعهم إلى وصف لغتهم وصفا دقيقا، لا سيما من الناحية الصوتية. وقد صنّف الأزهريّ الأصوات العربية في معجمه حسب موضع النطق، كما اختار ترتيب الحروف على أساس مخارجها، مقتفيا بذلك آثار أستاذه الخليل ابن أحمد الفراهيدي في معجمه " العين". ولا شك أنّ في كتب الفقه وفي مقدمات معظم المعاجم العربية معلومات قيّمة عن أصوات اللغة العربية، وإن أكثرها ترددا لكلام الخليل أو لكلام سيبويه أو لكليهما معا.

14